يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا ايديهم و تفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه ولما اتم الله سبحانه وتعالى قصة سليمان وداود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهي القصة الثالثة بقوله تعالى ولقد ارسلنا اي بما لنا من العظمة الى ثمود اخاهم اي من القبيلة صالحا ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن بقوله ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيئا ثم تعجب منهم بما اشارت اليه الفا واذا المفاجاة من المبادرة الى الافتراق بما يدعوا الى الاجتماع بقوله فاذا هم اي ثمود فريقان ويبين بقوله تعالى يختصمون اي منها فرقة افتراق بكفر وايمان لا فرقة اجتماع في هدي وعرفان ففريق تقاصد صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول انا على الحق وخصمي على الباطل ثم استعطف صالح عليه السلام على المكذبين بان قال لهم يا قوم لم تستعجلون اي تطلبون العجلة بالاتيان بالسيئة اي الحالة التي سياتها ثابتة وهي العقوبة التي انذرتكم بها من كفر قبل الحالة الحسنة من الخيرات التي ابشركم بها في الدنيا والاخرة ان امنتم والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت المضروب واستعجالهم لذلك الاصرار على سببه وقولهم ايتنا بما تعدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا فحينئذ يقبل توبتنا ويدفع العذاب فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب عقولهم واعتقادهم فقال لولا اي هلا ولم لا تستغفرون الله اي تطلبون غفرانه قبل نزول العذاب فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه فان العذاب اذا نزل بهم لم تقبل توبتهم تنبيه وصف العذاب بانه سيئة مجازا اما لان العقاب من لوازمه او لانه يشبهه في كونه مكروها واما وصف الرحمة بانه حسنة فقيل حقيقة وقيل مجازا ثم ان صالحا عليه السلام لما قرر لهم هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد بان قالوا فظاظة وغلظة اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك او بمن امن بك وذلك ان الله تعالى قد امسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا اصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك قال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر بسانح تيمن وان مر بارح تشاءم قال الجوهري ما والاك شقه منه من ظبي او طير او غيرهما وبرح الظبي بروحا اذا ولاك مياسره يكون من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح وتتفاءل بالسانح

فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما وهو قدر الله تعالى وقسمته تنبيه اصل اطيرنا تطيرنا ادغمت الطاء في التاء واجتلبت همزة وصل ثم اجابهم صالح عليه السلام بان قال لهم طائركم اي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة وقضاؤه وقدره وليس شيء منه بيد غيره وسمي طائرا لسرعة نزوله بالانسان فانه لا شيء اسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس الشوم اتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السما ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر كقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب تعذبون وقيل تفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة ولما اخبر الله تعالى عن عامة هذا الفريق بالشر اخبر عن شرهم بقوله تعالى وكان في المدينة اي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط اي رجال وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس ورجال كما قدرته والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم ، رياب بن مهرج ، مصدع ، عمير بن كردبة ، عاصم بن مخرمة ، سبيط بن صدقة ، سمعان بن صفي ، قدار بن سالف ، وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من اشرافهم ورؤسائهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقر الناقة وقوله يفسدون في الارض اشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله ولا يصلحون يحتمل ان يكون موكدا للاول ويحتمل ان يكون وهو الاولى لان بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح فنفى عنهم ذلك فليس شانهم الا الفساد المحض الذي لا يخالطه بشيء من الصلاح ولما اقتضى السياق السوال عن بعض حالهم قالوا تقاسموا اي قال بعضهم لبعض احلفوا بالله اي الملك العظيم لنبيتنه اي صالحا واهله اي من امن به لنهلكن الجميع ليلا فان البيات مباغتة العدو ليلا تنبيه يحل تقاسموا احزم على الامر ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على اضمار قالوا قد اي قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشري ثم لنقولن اي بعد اهلاك صالح ومن معه لوليه اي المطالب بدمه ان بقي منهم احد ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اي اهلاك اهله اي اهل ذلك الولي فضلا عن ان نكون باشرنا او اهل صالح عليه السلام فضلا عن ان نكون شهدنا مهلكه او باشرنا قتله ولا موضع

King Saud University
Copyright